

وصفي قرنفلبي :

بين الرومنسية والواقعية

قصي أتاسي

منفردة في مواجهة (اللانا) الهائلة الفامضة المخيفة ، مما أدى الى تقوية الشعور بالحيرة والضياع والذهول والانطواء على النفس والعزلة الكئيبة الموحشة مع المشاعر الداخلية والاحاسيس الفردية .

ولذا تحرر الرومنسيون من سلطان العقل الذي كان يحكم دولة الكلاسيكية ، واعطوا الحرية ، ملء الحرية ، لاهوائهم ونزعاتهم ونزغات نفوسهم ، فانطبع انتاجهم بطابع شخصياتهم وذواتهم ، وظهرت فيه الاعترافات الشجيرة ، كما ظهر البسوح الناعم الهامس بمكنون الوجدان .

اما الخيال فلا تسئل عن دوره ، فهو الملاك المخلص ، وعند العزاء ، وعلى اجنحته الذهبية سلوى . لا تعادله سلوى ، وعالم سحري عجيب .

اما القواعد والقوانين التي وضعها الكلاسيكيون فالى الجحيم ، وفي قلب كل فنان نبع لا ينضب ، وحماسة لا تجف ، وتفجر ذاتي لانفعالات وصبوات لا انتهاء لها ، فيجدد كل فنان اذن ، وليستق من ذاته ما شاء ، وليأت بأخصب العطاء دونما حاجة الى قانون او قاعدة ، وفي احضانك أيتها الطبيعة مسرح للفكر والشعور ، وملعب يا له من ملعب للخيال والجموح ، وواحات ظليلة لكل متعب هارب من جحيم الوجود !

وحيثما تفتحت ابواب العالم العربي وأشرعت نوافذه ليستقبل التيارات الادبية والمذاهب الفكرية ، كانت الرومنسية أسبق من غيرها في الوصول ، بل وأكثر المذاهب قبولا في دنيا الادب . وسرعان ما وجدت تربة خصبة نمت فيها وازدهرت لتثمر عطاء غزيرا على يد جيل من الابداء ، كان (وصفي قرنفلبي) واحدا منهم ، فوجد في الرومنسية ضالته ومبتغاه ، ليصب فيها تعبيره عن نوازع فردية متمردة ، كما وجد فيها وترا تعزف عليه (الانا) المختنقة المحبوسة التي مزقها الالم والصراع اللامجدي مع واقع بائس متخلف جامد أصبح

مما لا تسك فيه ان الحركة الرومنسية لا يمكن درسها او فهمها بمعزل عن جذورها التاريخية ، ولهذا لا بد من الرجوع الى ذلك الوضع الجديد الذي نجم بعد ميلاد العصر الراسمالي ، هذا العصر الذي نبتت فيه بذور الحركة الرومنسية وتفرعت اغصانها ثم ازدهرت واثمرت .

في تلك البيئة الجديدة ، وفي ظل أوضاع طارئة فرضها النظام الراسمالي فتح الفنان عينيه فوجد نفسه محاطا بما لم يالف ولم يفهم ، انه وضع غريب راح كل شيء فيه يتحول الى سلعة ، كما راح العالم القديم يتفكك ليصير ذرات تدور في دوامة عاتية ظالمة غامضة .

وهكذا فالعلاقات الانسانية التي كانت سائدة في النظام القديم أصبحت خاضعة لمجموعة من المؤثرات والعوامل الجديدة ، فالانسان في ظل هذا النظام الوليد ، بعد ان كان يتعامل مع انسان ، صار يتعامل مع سلعة . مع أشياء . . مع أوراق نقدية . . مع ارقام وجداول حسابية وخطوط بيانية . وكما أصبح الفن سلعة أصبح الفنان منتجا للسلع . وهو معرض اذن للمنافسة القاسية في سوق حرة ظالمة لها قوانينها المستعصية على الفهم . الحافلة بالتناقضات المريرة الخائفة .

في مثل هذه الاجواء الغريبة ، وتحت ضغط هذه التناقضات والظروف اللانسانية احس الفنان بأنه محاصر يكاد يختنق أو يضيع ، ولذا ما عاد بوسعه أن يدافع عن عالم هذا شأنه ، عالم يحس فيه بالغبرة والعزلة ، عالم يسحق شخصه ويدمر فرديته ويذوب ذاتيته وخصائصه كإنسان ، ويفجعه بأعز ما يملك . . . فكانت الرومنسية حركة احتجاج صارخ على الدنيا الراسمالية البورجوازية ، على التفاهة والتجهم والقسوة التي ترافق عالم الاعمال والربح والمنافسة . .

وهكذا كان من التجارب الاساسية التي حرص الرومنسيون على تصويرها ، تجربة الفرد الذي يقف وحيدا في مجابهة العالم ، غريبا بين الغرباء ، (أنا)

التلاؤم معه ضرباً من المستحيل، فيغمس الشاعر المرفف المتوفز الحسن في تجارب فردية ذاتية يفرق فيها همه وينسى ذاته ولو الى حين . ويتعري عن الوجود المزيج المقلق بالشعر الذي يسرح وراء الجمال ، جمال المرأة ، المرأة العزاء - يتصيد بسمتها الربيعية المنعشة ، ويتفياً ظلال هدهبا . وينتشي بما يفوح من صبوات اذا مشت أو همست أو غمزت :

وتغمز جارتني : اتقول شعرا ؟

فلم أنبس . كان الامر سرّ

وقالت : غنّ بي شعرا ، وصفني

فملت بها اتمتم : أنت شعر

على شفتيك متكأ المعاني

وفي الهدبين قافية وبحر !

ونهدك - آه ظل النهد - حلم

فتفتح في الصدارة، فقيل: فجر !

دم العنبرين منطلق يفني

كما غنى مع النسيمات زهر

خطى نغم ، وخصر مستجيب

سرى.. فالافق أتى سرت، خور

أناضل في سبيل العيش يومي

وأرجع والدم المكدر قفر

وتبتسمين ... فالدنيا ربيع

وحب والحياة رضى ويسبر

شبابي حال خلف دمي ، حطاما

وبعثت القصائد فهي نشر

ولحت .. فكل جارحة قصيد

أبعث ؟ والحطام الميت نجر

سفحت الاربعين وقلت : حسبي !

فضجّ القلب: هذي(الحسب) نكر

الى أن ننتهي ... فضممت قلبي

أقبله .. وقلت : وأنت شعري ..

وهذه تجربة ذاتية أخرى يسبح فيها الشاعر بحمد الجمال المصقّى ، ويصلي في هيكل الحسن المعبود ، ويرتل انشودة الهوى المشبوب العاصف ، حيث تبوح (الذات) بمكنون وجدانها . وتهمس (الأنا) العاشقة المدلّثة مسحورة مبهورة تتعزى عن (قبح) الواقع ، بجمال يتجسد مفاتن انثوية يفرق فيها الحسن ، وتستريح في ظلالها الاعصاب المتعبة المكدودة المتوفزة .

في زحلة ، جارة الوادي ، أمضى الشاعر يوما وليلة ، فكانت ذكريات ، وكان شعر ، وكانت قصيدة :

(مادون) (١) ! تلويح بقبله زاد الغريب ، وما أقله وغدا أروح وتنطوي في القلب، أنى رححت، غلته

(١) اسم حسناء الشاعر .

(مادون) هذي كبرياء الشعر بين يديك ذلك ما زحلة السمرأ ؟ ما وادي العرائش ؟ أنت زحله ماذا ؟ وراح الشعر يحلم فيك تفصيلا وجملة : شفة . وقل : سبحانها ، سجد النبيذ لها وآله سلبته نكته ورفقة لونه القاني وفعله فأطلّ يلهث كالفريب يدور لم يبرح محلته غمزت هنا . بل من هنا ، قتلته إيماء ونقله ... شفة . سل الشفق المحشرج : من سقاه دما وعلته ؟ وتلفت الكرز الذبيح الى العقيق : دمي ودلته ... والهذب . يا نفس الهوى سكب البنفسج فيه كحله الفجر هوّم برعما والعطر تتم فيه قبله ... مادون أي مادون ان عقل الهوى حطمت عقله أنا في الهوى طفل وأنت وراء هذا الفنج طفله ما زحلة السمرأ ؟ ما وادي العرائش ؟ أنت زحله !

* * *

وإذا نان جان جاك روسو يدعو الى العودة الى الطبيعة والارتقاء في أحضانها واتخاذها ملجأ أو مهرباً من قسوة العيش وتعقيد الحياة وتشابكها وضجيجها . وإذا كان لامارتين في (البحيرة) يستنطق الطبيعة ، غاباتها ووديانها وغدرانها وجداولها وكهوفها، ويشخصها ويخلع عليها الحياة ليناجيها ويبتها شجونها وأحزانه ، ويستودعها أسرارها ومكنونات وجدانه ، فوصفي قرنقلي لا يقلّ عنهما التحاما بالطبيعة والتصاقا ، ولا يقصر عنهما تشخيصا وتأنيسا وأحياء وتحريكا ، حتى تنقلب الطبيعة كأننا حيا يتنفس ويضطرب ويلهث ، بل ويعاتب ويلوم ، ويفني ويرقص ويهفو ويميل ويسكر ويضطرب :

هزّتي صاحبي وقال : أفق فالصبح نديان ناعم يتفتح قم أخوا الشعر ، فالقوافي عذارى

عاريات كالصبح ، في المرج ، تصدح

سبقتنا الطيور فهي تغني

منذ حين ، والورد في العطر يسبح

همّ نيسان بالعتاب : أيغني في صبا

حي ؟ والكأس باللوم أفصح

فتشاءبت ، والكرى في جفوني

وتناهضت نحوه ، أترجح

فاذا الصبح، في غلالته الزرقاء، ساج ينهلّ طيباً، ويلمح

بين هديه من عطور الليالي حلم هذه الضحى فتفتح

.. طلع الصبح! فالفضاء مدى عينيك، عطر سار، ونور مجنح

عرس الشمس، زغردت في فم الصبح، وراحت تزقه فترنح

.. والطيور استقلت الجو أسرا

با ، وراحت تدغدغ الجو ، صدح

مشهد يعقل اللسان ، ونديا

ترسل النفس في الفضاء ، فتسبح

لذة كالنسيم ناعمة بيضاء تنساب في الصدور فتشرح
قلت : يا صبح مرحبا ، وسألت الشمع
سر : ماذا ترى ؟ فصلى وسبح !

وإذا كان الرومنسيون يعيشون في أعماقهم مأساة
الضياع والتخبط ويندبون (الآمال الضائعة) المتحونة
الى رماد منطفىء ، وإذا كان احساسهم بالغربة والمرارة
والخيبة ينغص وجودهم ويملاً أفواههم بطعم الملح
فيسعون وراء السراب يتعلقون بأذياله ، ويجرون وراء
الوهم والخيال يستحلفونه أن يحملهم على أجنحته ، فان
شاعرنا يشعر أعماق ما يكون الشعور بالحاجة الى قناعة
تملاً فراغ النفس ، وعقيدة تشحن خواء الروح ...
فيتعلق بالآمال ويستمسك بها ، ولو كانت سرايبية
ضبابية بعيدة لا تنال ، زئبقية لا تمس ، ويعلم عن رضاه
بالاوهام واكتفائه بالاحلام ، فهي خبز الحياة ، ونبيذ
الشرابين الباردة ، وهي الزاد الذي لا غنى عنه في
رحلة الوجود .

ليس الوهم في لحظات أحلى مسن اية حفيفة ؟
ليس السراب في لحظات أندى من اي ينبوع ؟!

عصف اليأس بالبقية من كأسى فأفرغت في التراب شرابي
ونفضت المنى فأهوين أنقاضا «الى النار يا سياط العذاب»
آه منكن آه أنتن دائي وجراحي وحيرتي واغترابي
وتنهدت .. مجهد بلغ الشطء ، وأجهشت للضفاف الرطاب :
أيها اليأس ! أنت براء وعود مطمئن الى مراح الشباب .

حلم كاذب صحا من جراح لا تعي .. هل وعت مدى القصاب ؟
الدجى مغلق . ترى الصبح قد ما
ت .. هل الصبح مثلنا من تراب ؟
أي تيه هذا .. ألا ناس في الارض
ض ، الا درب في ظلام الضباب ؟
عطش في اللهى ينوح .. ألا ساق .. أما ثم قطرة من شراب ،

قيل : في اليأس راحة .. تعس القو
ل ، وهذي أشلاؤه في ثيابي
ان شر الجراح جرحك يا يأس ، بل الموت دون هذا العذاب
الفراغ العقيم لون من الموت تعرتى حتى من الاكتئاب
خلق العقل كافرا وطفى العلم وصرت أنيابه كالحراب
فتهاوى الايمان شلوا ذبيحا يتضافى ما بين ظفر وناب

يا ضلالي .. طال السرى وتداعى
دربك الميت متعبا في الشعاب
يا لرجس العنوم ! أنقى واسمى من جميع العلوم طهر الغاب
ان خيرا من الحياة بلا رب ، واندى ، عبادة الانصاب

المنى والدموع وانلزم المبدع سر الحياة ... روح الشباب
والمنى والدموع والالام المبدع حالت الى رماد هاب
نفض اليأس في دمي عنصر الموت وذرت الصحراء في أهداي
قتل الشعر في فمي ولواني عن صحابي فملتي أصحابي
صبغ الافق بالدجى وأتى الخمر فصب الظلام في اكوابي
عقم لفني وسمر دنياي .. فماذا ؟ والعقم في اصلابي
يا لفقري حرمت حتى من الدمع ومن رعشة الاسى في اهابي
يا أماني عدن بي . هزني الشوق وضجت في رمتي أعصابي
عادني الشوق يستغيث الى دائي وجرحي وحيرتي واغترابي
يا أماني انقضى في دمي الميت خفقة من خضاب
يا ضلالي عد بي الى الوهم اعبده وابن في ظله محرابي
الاماني من سراب .. ولكن آه .. من لي بجرعة من سراب ؟!

وإذا كانت الام (الفريد دي موسيه) وبوحه
الشاكي وانينسه الخافت ، ونشيجه المحترج ، قد
انسكبت عصارة شعرية مصفاة في قصاده الرومنسية
... وإذا كانت جراح فؤاده المدمى قد صبغت قوافيه
بالوان الاسى والكآبة والغم ، فقدت شاهدا خالدا على
(الأنا) المعذبة المفردة الوحيدة التي لا معين لها ولا
أنيس في وحشة الحياة وصحراء العيش ، فان آلام
وصفي قرنقلي قد فعلت فعلها ولعبت دورها في شعره ،
فانعكست حشرات دامعة واجترارا للذكريات يعضها ،
ورثاء للشباب الذي لن يعود ، ورنه تشاؤم سوداوي
كئيب يعلن فيسه الشاعر استسلامه ورميه للسلاح
واعترافه بالهزيمة وتسليمه بالانتهاء والانطفاء ... فراح
يتربق المصير الفاجع وينتظر بل يتوقع فاجعته النهائية
التي تنهي سائر الفواجع وتختتمها . ها هو ذا يبعث الى
صديقه صاحب مجلة « الاديب » بقصيدته الشهيرة :
« طلائع النهاية » :

حسبي : فهذا دمي قد جف واتأدت
خطاي وانطفأت في دربي الشهب
أمضي مع الدرب حيران الخطى قلعا
والتيه يجهش في قلبي وينتحب
جفّ البيان . وكان الورد ، في شفتي
وكنت ، ان قلت شعرا ، برعم الادب
تبرّ سمراء ، ان مرت ، فيتبعها
طرفي فيكبو فيفضي . والهوى تعب
ويزار العصر أحداثا فالجمها
بالصمت كالتبر ، لا شوق ولا غضب

السراب ولا وصول .. واجترار للذكريات والحسرات
الدامعة ..

ولكن الشاعر اذا كان يحسّ الاصفاء الى بسوح
ذانه وهمس ما بين اضلاعه . فان ذلك لا يعني انه لم
يكن يحسن الاصفاء كذلك الى اصوات اخرى . وان
كانت خفيفة بعيدة . ولا يعني انه عاجز عن تلقي تلك
الهمسات الناعمة التي ما لبثت ان اصبحت ضجيجا
يقرع الاذن ولا يمكن التغافل او التغاضي عنه ... فبعد
الحرب العالمية الثانية . ومع بداية الخمسينات ، راحت
تلوح في الافق معالم تبدلات طارئة جديدة في شتى
الميادين والاصعدة . كما راحت تلوح في الافق تباشير
هزات عنيفة تحاول ان تضرب الحياة العربية في جذورها
لتحيي مواتها وتدفيء جامدها وتحرك ساكنها ... فاذا
الانسان العربي - ولا سيما الطبيعي - مدعو الى مراجعة
الحساب مع وجوده المشوه . ومعاودة النظر في شؤون
حياته التي يفشيها الخمول والقبح ، خمول التخلف .
وقبح الاستغلال والظلم والقهر والخرافة .

اذن هناك تيار عاصف جارف اخذ يهبّ على
الارض العربية ليوقظ النيام ويفتح العيون والبصائر
على واقع يجب ان يتغير ، وعلى طرز وعلاقات وانظمة
للعيش ما عادت مقبولة ولا مستساغة ، بل حقها
الرفض والطرح والتبديل .

فرز طبقي راح يتوضح ... ساحات جديده
للنضال مهدت لتجري على ارضها معارك من طراز
مختلف .. فالعدو لم يعد المستعمر الدخيل وحده ...
بل ما أكثر الاعداء وما أكثر الجبهات ..

وهكذا صبّت دماء جديدة في شرايين الحياة
العربية ، وشاع في الوجود العربي قلق فتطلع فتحفز
وتوثب نحو وجود ارقى واجمل واكمل .. ولكن التطلع
والتحفز لا يكفيان ، ولكن القلق والتوثب لا يجديان ،
انهما مرحلة تسبق وتمهد لمرحلة الوعي والاستبصار .
وعي الحقيقة القائلة : انه لا بد من العمل ، لا بد من
النضال والقتال ، فالمعركة قائمة مفروضة والسلاح
لا غنى عنه لمن يريد المعركة ومجابهة العدو .

وراح الشعراء العرب يتنسمون هذه النسمات
التي اخذت تمسح ما ران على الاجفان من
نعاس ، وتفسل الفشاوات التي كانت تحجب الرؤية ،
رؤية الطريق الواضحة المعبدة .

وقد كان وصفي قرنقلي سباقا مجليا ، وقد كان
طليعيا بكل ما تعنيه الكلمة من وعي ناضج وفكر متقدم
وانفتاح سريع على معطيات المرحلة ، فكان (ملتزما)
بصدق وعمق وايمان عجيب وحماسة مذهلة .

وها هو ذا الشاعر يخرج من التيه الذي كان يخطئ
فيه ، ويتلمس دربه ، فسرعان ما يجد ذاته في هذا

وكنت ، اذ كنت شعرا ، كلما ومضت
بنا الحوادث كالتيار اصطخب
على الشفاه - ومالي لا ادلّ بها -
قصائدي خمرة او نكهة عجب

صحا السراب فنام الشعر في كبدي
كان السراب منى ، ان المنى لهب
الكأس تلهث في كفي ، وقد ظمئت
والصمت متكئ كالكاس . مكتئب
يا ذكريات اسكبي في الكاس ، مضطربا
كالنار ، من امسنا ، يضحك بها الحبيب
خبث ليالي الا من تنهد
تئن ثكلى والا خافقا يجب

حسبي ، وافرغت كاسي . في قرارتها
افرغت دنياي لا جد ولا لعب
احسن ان ملت بالصهباء اسكبتها
كان عمري وراء الكاس ينسكب
ارى النهاية خلف الدرب توميء لي
تخبّ نحوي ، ومشبي نحوها خبيب
والياس . هذا الفراغ الميت في كبدي
ليل تساوى لديه البعد والقرب
العقم والليل والصحراء ، تلك أنا
حتى كاني اليّ الموت ينتسب
قلبي (كنجيلتي) يغفي على حلم
قل يا رماد : ترى هل يورق الحطب ؛
يا درب عدبي فصاح الدرب : واحزني
وأطرق الشيب يبكي : فأتك الطلب
هيهات .. او يسترد النبع جدوله
ويورق الشوك ، في عنقوده عنب !
اذا الشباب مضى ، فالعمر اطيبه
مضغ الرمال ، سراب طعمه كذب
ماذا ومات سؤال لا جواب له
ومال هذب ، وأغضى لا يرى ، هذب !

تلك كانت مرحلة الرومنسية عند وصفي قرنقلي :
شعور حاد بالقربة والضياع ... وتخبط عشوائي
لا يعرف له مستقرا ولا وجهة يتجه اليها ... وابحار مع
التيار لا يأمل في مرفأ أو ملجأ ، وانكفاء على الذات
وتفنّ بشجونها ، وانصات الى ما تهمس أو تبوح به ،
وسعي حثيث لا يتعب وراء لذة عابرة تتجسد جرعة
شراب أو قبلة شفة ظمأى ... ولهفة حرّى لاهثة وراء

... قل لمن يطلب الدليل الى الصب
 ح : دماء الشعوب قامت دليلا
 ... انا للشعب ما حييت ، وللدرب
 ب ، يميننا لا تعرف التأويلا
 فصتي قصة الملايين منهم
 كتل البؤس حقدنا تكتيلا
 بي من البؤس ما بهم ومكاني
 بينهم حيثما تولوا سبيلا
 نسأل الشعر ان يكون شعاعا
 هاديا ... في طريقنا مسؤولا

اذن فالشاعر الآن يعي ذاته الملتزمة وموقفه الواضح
 الصريح - ويعرف اين يقف ! انه مع الثورة الهادرة في
 ضمير الجماهير المحرومة التي طال عليها الحرمان ،
 وهي تدرك الآن اسباب بؤسها وعلل شقائها ، كما تبصر
 طريق خلاصها ودرب انتصارها .

والشاعر يتابع هذا الوعي ويرصد حركانه وسكناته،
 ويمشي مع مراحل خطوة خطوة : ويرى اليه جنينا
 فوليدا فشبابا مفتول العضلات يشمر عن ساعديه مزهوا
 بشبابه وفتوته :

لا .. لم نعد ما يزعمون

ما يزعم المتأقون

حلما على درب النجوم يلف أهداب النجوم

يبكي ويفزل حبه شعرا كتمتمة النسيم

فليسمع المتثاقبون

وليسكت المتسائلون

كبر السؤال . اما تراه على الشفاه وقد تفتح ؟

الدرب ابصر : فانطفئ يا ليل ، ان الصبح لوّح

قل للرفاق التائهين

في الشبرق تملغه السنون :

(ففراء مكة) حطموا حكم القناعة واستفاقوا

الجوع ليس من السماء .. فمن اذن ؟

وهنا أفاقوا

ومضوا .. فمن متسولين على الرصيف لثائرين

يناقضون ويضغطون على الشفاه ويسألون

الجوع ؟ صنع الناهبين الشعب ، صنع الاثرياء

اخذوا المعامل والحقول وطوقونا بالقضاء

ومشت جموع المؤمنين

تطأ الدجى تطأ السنين

ماذا ؟ ويسألني الرفاق ، رفاق ايام الطفولة :

الحب يسأل عنك والسمراء تسأل والخميلة

لا .. لا سؤال سوى (متى ؟) ابدا ندور بها قصيدا

الكأس توميء والضحي ، لا كأس ما دمنا عبيدا

الالتزام ، وسرعان ما يلقي في الواقعية الاشتراكية
 صنم الامان الذي يعصم من السقوط ، ويحمي من
 الضياع والهروب والتمزق ، فيعلنها صريحة مدوية
 ويصرخ مع الصارخين من رفاق الدرب : « لا هوادة » :

ايه يا شعمر قد لهونا زمانا

بالتقوافي كاسا وهدبا وثفرا

ملتنا العجاج ، والسمنوات ملت

حلما ينسج الاساطير شعرا

... اين يا شعر ؟ والشعوب نضال

ضاء عزما وطار بالارض بشري

... مرحبا بالنضال، يا شعب، خذني

خذ دمائي في سفرك الضخم سطرأ

وفد يعجب الواحد منا فيقول : ما لهذا الرومسي
 الذاتي المنكفيء على ذاته المنطوي على نفسه ، الراكض
 وراء السراب ، ينقلب الى العالم فينفتح على الناس
 ويتبنى قضيتهم ويحتضن الامهم ، ويجند قلمه لاستعادة
 حقوقهم الضائعة في العيش الحر الكريم ؟

ولكن سرعان ما يزول العجب حينما نعي هذه
 الحقيقة : حقيقة ان الرومسية في جوهرها رفض
 للواقع المشوه واحتجاج صارخ على ما فيه من قبح ...

وهكذا فليس هناك الا خيط رفيع يفصل بين

الرومسية والواقعية ..

ولا عجب ولا غرابة ان نرى شاعرا مثل (وصفي)
 ينتقل الى صف (الملتزمين) بقضية الشعب المكافح
 ليكون شعره صدى يرجع صوته ويتغنى بملحمة نضاله
 الصعب المرير .

وهذا هو . باعتراف صادق محبب ، وببساطة
 متناهية آسرة ، يحكي حكاية نقلته وتحوله . انه يعي
 ما كان عليه ، وهو يعي الآن ما صار اليه :

ما كذبت التاريخ ، مرّ زمان

كنت في التيه شاعرا ضليلا

اسأل الشوك ان يعنقد أعنا

با رطابا او يستطيل نخيلا

سمرتني الطلول - والقلب طفل -

ويح للتيه كم يرود الطلولا

... وانجلت غمرة الضلال فأبصر

ت فأمنت .. فاتبعته الرعيلا

اشبرق الشعب في دمائي صباحا

فعرقت الهدى وذقت الشمولا

أبدر .. الشرفات .. السمراء .. الهدب المكسر
حلم على لهب النضال يموت .. قل للحب يثار
...

يا شعر خذ ما شئت في القبلات والكاس الروينه
واذكر وراء الكأس ، ان لشعبنا ولنا قضيه !

وانطلاقا من معطيات الواقعية الاشتراكية يدرك
الشاعر ان الثورة ليست وعييا فحسب ، وليست
احساسا بالظلم واستشعارا له ... ان ذلك مرحلة ،
انه خطوة تسبق (الفعل) .. ومن يفعل ذلك (الفعل) ؟
الجواب واضح صريح ، انه الشعب ، انها الجماهير
العريضة - ذات المصلحة في هذه الثورة .

والشاعر يبشر بهذا الفعل ، بل ويحرض عليه
ويدعو اليه ويشير الى دربه الذي يجب ان يسلك ..
هذا الدرب المؤدي الى مجتمع ينتفي فيه الظلم وترفرر
عليه رايات الاخاء والحب ، وترن في جنباته أناشيد
الحرية الحقيقية ، حرية الانسان وقد انتصر على
مستغليه ، وأرجع الحق الى نصابه ، وراح يبني عالم
العدل والرخاء للجميع ، عالم العلم والازدهار ، على
انقاض الخرافة والوهم والرضى بالواقع الاسود :

أيها الشعب ثر بجلاذك الوغد وهيا بنا نقدّ الاسارا
انت دنيا، اذا تحفزت مادت تحتك الارض خشية واندعارا
وتكتل وانهض كما نهض السيل وفجر في شرقنا الاعصارا
حسب هذي « الارباب » تطغي وتبغي

انزفتنا « أربابنا » استثمارا
طاطا الذل هامنا فامتطونا

واستطالوا في ظهرنا استكبارا
ايه يا شعب ثر بهم لا تطاطيء

بلغ الصبر أفاقه فاستجارا
.. هل رأيت القضاء أطبق وانقضّ أيشني؟ هل تعرف التيارا؟

أيهذا الوسنان قد أزعف الفجر ونادي بنا، فحسب انتظارا
اصفع الليل انه مات وانحلّ ، وأيقظ في جانبه النهارا

لن تكون العبيد، ان لنا الدنيا سنمضي في شوطها أحرارا
نملا الارض والحياة اخاء

نفرش الارض والحياة ازدهارا

اذن فالشعوب صانعة الحضارات بل المعجزات ،
اذا عرفت طريقها ، وليس الملوك والحكام .

تلك هي مقولة العصر ، ومنطق المرحلة التاريخية
الراهنة ، والشعوب لا بد منتصرة ، وهي لا بد ،
واصلة الى اهدافها طالما تسلحت بالوعي والعزيمة .

ولكن العدو رهيب شرس ، وهو الى ذلك ، ذكي

مسلح بالمال والعلم يرغي ويزبد تارة . ويرشو ويصانع
تارة . يهدد ويتوعد صراحة وجها ، ولا يتورع عن
البطش والقهر والفتك بضراوة ووحشية .. وحينما
يمكر ويخدع ويموّه فيشتري الضمائر والاقدام :
ويستميل القلوب ويفس البسطاء وينصب له اصدقاء
ومبشرين ودعاة وحواريين !

اذن فان تصدي اعدو هذا شأنه ليس بالامر السهل ،
وليس الوقوف في وجهه والدخول معه في معركة
قضية هينة .. انه يملك ان يدمر الحضارة الانسانية
بحرب ضروس اذا هو ركب رأسه وارخى العنان لجنونه
... ألم ينجح مرة في اثر مرة في ان يحبس انفس
الناس خوفا من اندلاع هذه الشرارة ، شرارة الحرب ،
وما ادراك ما الحرب؟! ألم ينجح مرة على مرة في ان
يجعل الناس يعيشون هذا الرعب المدمر من كارثة عالمية
تعصف بكل ما انجز الانسان عبر تاريخه الحضاري ؟

اذن ما على الشعوب الا ان تناضل في سبيل
(السلام) وتقاتل اعداء السلام ، تجار الحروب
وسماسرة الطائرات والدبابات ، فعدوها واحد
وقضيتها مشتركة .

وهكذا انعقد في دمشق في ربيع الف وتسعمئة
واربع وخمسين مهرجان للسلام تحتشد له الجماهير
لتنصب غضبتها على الامبريالية - صانعة اسرائيل -
ونصيرة الحروب ، عدوة الشعوب المستضعفة المكافحة
.. وتصفق الجماهير لتصيدة وصفي قرنغلي :

« مع السلم »

سيح الصبح باسمنا اذ رأنا

وانتشى الدرب يوم همت خطانا
صفق الجدول الصديق يحيينا ونادي فايظ الاحوانا
وهفا برعم يسائل : من يا أم ؟ قالت : اظنهم نيسانا
ما عدوت الصواب يا أخت اتنا

من تسمين واقعا لا بياننا
نحن معنى الربيع نورا ودفتنا

وازدهارا فمن رآه رأنا
نحن معنى من الطليعة في الشعب، اذا الشعب هزنا او نخانا

نزرع الخصب والمحبة والسلم ونسمو بشعبنا بياننا
قل لمن يزعمون عالمهم حرا : احمر يستعبد الانسانا ؟

كم خدعتم (بالعالم الحر) شعبا
والتهمتهم على اسمه اوطاننا

قد عجتنا (دولاركم) وخبزناه فكان التزوير والبهتاننا
يهب الشعب باليسار ويمناه تحزّ الوريد والشرياننا

ان هذا الدولار ، لو يقرأ التاريخ تاريخنا ، لاتفانا
عرب نحن ، والعروبة انسان شريف يستنكر العدوانا

كل تاريخنا انتفاضة أحرار وشعر يستصغر العبدانا

صدر حديثا

روايات وقصص
د. سهيل ادريس
في طبعة جديدة :

الحي اللاتيني

(الطبعة السابعة)

الخدق الغميق

(الطبعة الثالثة)

اعابنا التي تحترق

(الطبعة الثالثة)

قصص سهيل ادريس

في جزئين :

اقاصيص اولى

اقاصيص ثانيا

منشورات دار الآداب

وطريق الثورة وعرة شائكة ... ودربها زلق
موحل .. فما أكثر العثرات وما أصعب السير ، وهذا ما
يفري ضعاف النفوس باليأس ويدفع بهم الى التشاؤم
ويعمي بصائرهم عن استشراف المستقبل المنتصر ،
مستقبل الشعوب وقد رفعت رايات انتصارها وأعلت
صروح حياتها النظيفة الخالية من الادران .

وهكذا فالثور لا تعرف التشاؤم .. وكذا الثوري ،
وكذا الواقعي الاشتراكي ، لانه يملك الرؤية الواضحة
ويعرف كيف يقرأ التاريخ ، وكيف يستشرف المستقبل
الوضاء لشعبه ولجميع الشعوب .. فيغني ويفني للغد
الجميل ، غد العلم المنتصر على الجهل ، والحرية
المنتصرة على العبودية ، والعدل المنتصر على الظلم ،
والصحة المنتصرة على المرض ، والحب المنتصر على
الحقد :

وكان الغد المخضب بالنار على مقلتي آراه الآنا
نحن يا صبح للحضارة نذكيها وللارض تستحيل جنانا
نحن للعلم والحياة والآداب والفن اشرفت ايماننا
غدنا المشرق الصبيح انطلاق

يوقظ الارض يطلق الامكاننا
ثورة الحياة .. تبدأ تدميرا ورعبا .. وتنتهي بنيانا
تنقلد الارض من جراثيمها السود ، وتبني فترفع الانسانا

* * *

ذاك هو التفاؤل الثوري المطعم بالامل الذي لا
ينطفئ .. وتلك هي قناعة كل اديب ملتزم .. واذا كان
الليل العنيد يقسم الا يحول .. والسدر يقسم الا
ينتهي .. فالانسان يقسم ان تشق الليل وتخط
الصبح .. وان تصل ..

* * *

وبعد .. تلك هي حكاية (وصفى قرنفل) في
رومنسيته وواقعيته عبر مرحلتين تبدوان متميزتين
متباعدين .. وما هما في الواقع الا وجهان لحقيقة
واحدة : انها الشاعرا الانسان الذي اوصى ان يكتب
على ضريحه :

لقد غدوت ترابا لا يحركني
بيت من الشعر أو زهر على غصن
حسبي - ولا حسب خلف القبر - متكأ
في حضن أمي واني في ثرى وطني
وانني كنت - والاحرار تعرفني -
حرا ، أضأت دروب الشعر في زمني

دمشق